الثنائيات اللغوية

بحث في تحليل المصطلح

إعداد

د/ ليلة يوسف حميد

قسم اللغة العربية - كلية الآداب بقنا

جامعة جنوب الوادي

فكرة "الثنائية"Dichotomy من الأفكار الأصيلة في اللغة، وفى الدراسات اللغوية، فهي قديمة قدم اللغة نفسها؛ فمنذ وجدت اللغة وهى مبنى ومعنى، لفظة وفكرة.

وقد رأيت أن أتتبع هذه الثنائيات سواء في المادة نفسها أو فى طرائق دراستها. على اختلاف العصور واختلاف المدارس فى دراسة اللغة.

والذي دفعنى لبحث هذا الموضوع وأكد لى عمق الفكرة ما يأتي:

أولاً: أن اللغة نفسها نظام للتفاهم بين طرفين (مرسل/مستقبل) أو متكلم وسامع.

ثانياً: أن اللغة لها جانبان لا ينفصلان : اللفظ والمعنى أو الصوت والفكرة أو المبنى والمعنى.

ثالثاً: أن استعمال اللغة يعكس لها طابعين مختلفين هما: طابعها الفردي(الكلام) وطابعها الجماعي (اللغة)

رابعاً: تاريخ اللغة واستمرار حركتها يحكمه قانونان متعارضان هما قانونا الثبات والتطور.

فاللغة عند دراستها من أي من جوانبها-تجد أنها مبنية في الأساس على فكرة الازدواج، ودائما هي ذات وجهين متقابلين، لا يمكن الفصل بينهما، ولا يستقر أحدهما إلا إلى جوار الآخر أو في مقابلته تماماً.

وهذا البحث هو وقفة أمام أشهر مصطلحات اللغة التى تمثل هذه الازدواجية أو الثنائية لتحليلها والوقوف على صور تطورها.

وقد قسمت هذه الثنائيات إلى قسمين:

١-ثنائيات (المادة) موضوع الدراسات اللغوية وهى اللغة نفسها.

٢-ثنائيات مناهج الدراسات اللغوية .

أولاً: ثنائيات اللغة:

ثنائيات اللغة كثيرة ومتنوعة، حتى إنه لا يكاد يخلو منها أى من مســتويات اللغة وهى على النحو الآتي:

١-ثنائيات المجال الصوتي:

١-الصوامت /الصوائت ٢-الجهر /الهمس

٣-الإعلال /الإبدال ٤-الشدة/الرخاوة

٥-الإطباق/الانفتاح

٢-ثنائيات المجال النحوي:

١-التقديم / التأخير ٢-الذكر / الحذف

٣-الإعمال / الإهمال ٤-الإظهار / الإضمار

٥-الإعراب / البناء ٦-الأصل / الفرع

٧-الاتصال /الانفصال ٨-التذكير / التأنيث

٣-ثنائيات المجال الأسلوبي والبلاغي:

١-الحقيقة /المجاز ٢-الفصل / الوصل

٣-الفصاحة / البلاغة ٤-الإيجاز / الإطناب

٥-الخبر / الإنشاء

٤-ثنائيات الدراسات اللغوية الحديثة:

تمثل المصطلحات المتقابلة سمة أساسية في علم اللغة الحديـــث، وســوف أذكر أمثلة منها ثم أحلل بعضها لمعرفة التطور الذي حـــدث فيـــها وتفـــرع بعضها عن بعض ومنها ما يلي:

١-اللغة/الكلام ٢-القدرة/الأداء

٣-التوليد/التحويل ٤-السطحي/العميق

٥-المثير/الاستجابة	٦-الوقف/الاصطلاح
٧-المكتوب/المنطوق	٨-اللغة/الفكر
٩-الفصحى/اللهجات	١٠-اللفظ/المعنى
١٣-العبارة/الإشارة	١٤-التفسير/التأويل
١٥-الرأسي/الأفقي	

ثانيا: ثنائيات مناهج الدراسات اللغوية

١-السماع/القياس	٢-المنهج الوصفي/التاريخي.
٣-التقابلي/المقارن	٤-العام/الخاص.
٥-الاجتماعي/النفسي	٦-النظري/التطبيقي.

فيما سبق عرضت ثنائيات اللغة طبقاً لتوزيعها حسب المجالات المختلفة للغة، فقد اختصت كل مجموعة منها بجانب من جوانب اللغة وفيما يلى إعادة لتوزيع هذه المصطلحات طبقاً لنوعها من حيث إمكانية تواجدهما معاً على النحو الآتي:

أولاً: ثنائيات لغوية متقابلة:

وهذا يعنى أن وجود أحد طرفى هذه الثنائية وتحققه يمنع مطلقاً وجود الآخر فى نفس الوقت وهى:

١-التقديم/ التأخير	٢-الذكر/ الحذف
٣-الفصل/ الوصل	٤-الإعمال/ الإهمال
٥-الإظهار/ الإضمار	٦-الإعراب/ البناء
٧-الأصل/ الفرع	٨-الجهر/ الهمس
٩-الصامت/ الصائت	١٠-الغريزة/ الاكتساب
١١-التوقيف/ الاصطلاح	١٢-الحقيقة/ المجاز.

ثانياً: ثنائيات لغوية متعارضة ومتعاضدة:

هذه الثنائيات غير متقابلة، فأســـميتها متعارضـــة لأنـــها تتنـــاول موضوعاً لغوياً ذا طبيعة ازدواجية كل طرف منها يمثل جانباً واحـــداً مـــن الظاهرة ذات الجانبين، فهما مصطلحان على شيء واحد، له وجهان مثل:

١-اللغة/ الكلام	٢-اللفظ/ المعنى
٣-اللغة/ الفكر	٤-الدال/ المدلول
٥-القدرة/ الأداء	٦-السطحى/ العميق
٧-التوليد/ التحويل	٨-المثير/ الاستجابة
٩-المنطوق/ المكتوب	١٠-الفصحى/ اللهجات
١١-الفصاحة/ البلاغة.	

نماذج تحليلية لبعض الثنائيات:

هذه النماذج من الثنائيات اللغوية (Linguistic Dichotomies) التى درست فى المجالات المختلفة لعلم اللغـــة، فـــى مدارســـه واتجاهاتـــه المتعددة، سوف أتناولها بالتحليل، لكثرة ما أثير حولها من جدل، خصوصـــاً أنها تمثل المراحل المختلفة للفكر اللغوى، وقد ترتب بعضها على بعـــض أو تطور بعضها عن بعض.

اللفظ/ المعنى:

شغلت قضية اللفظ والمعنى العقول ، واتخذ البحـــث فيـــها منـــاحى متعددة، وبحثها قديم فى مجالات النقد والبلاغة، والدراسات اللغوية.

يقول الدكتور شكرى عياد إن من آفات العقل البشرى أنه إذا وجـــد اســـمين يقعان على شيء واحد من جهتين مختلفتين ظن أنهما لشيئين مختلفين.[١]

---

[١] د.شكرى عياد: اللغة والإبداع ص ٤٦.

وقد أثار الجاحظ جدلاً واسعاً بمقولته التى توحى بالمفاضلة بين اللفظ والمعنى:

"المعانى مطروحة فى الطريق، يعرفها العربى والعجمى، والبدوى والقروى و المدنى. إنما الشأن فى إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفى صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضوب من النسج وجنس من التصوير."[١]

تلك النظرة من ناقد عربى قديم، لا تنطبق على ما نقصده هنا باللفظ والمعنى، وإنما المقصود منها المفاضلة بين المعانى (الأغراض) التى يعبر عنها الأديب أو الشاعر، وطريقة تعبيره وصياغته وسبكه للجمل والعبارات فى الأنواع المختلفة للكتابة الأدبية. [٢]

تلك النظرة تتناول العلاقة بين الشكل الأدبى أو الصياغة، والمضمون الذى يعبر عنه.

أما اللغويون فقد انشغلوا بهذه الثنائية فى اللغة، وحاولوا الكشف عن حقيقتها، وعن طبيعة العلاقة بين قطبيها. وقد تناول ابن جنى فى خصائصه كثيرا من الأبواب التى تمس هذه الثنائية ومن أمثلة هذه الأبواب:

- إمساس الألفاظ أشباه المعانى.
- قوة اللفظ لقوة المعنى
- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى. [٣]

---

(١) الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون ١٣١/٣،١٣٢.

(٢) ابن رشيق القيروانى: العمدة فى صناعة الشعر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ١٢٤/١-١٢٧.

(٣) ابن جنى: الخصائص، تحقيق: محمد على النجار ١٥٤/٢،٢٦٧/٣.

وكلها أبواب تناقش العلاقة بين اللفظ والمعنى، أما عبد القاهر الجرجانى فقد رفض الفصل بين اللفظ والمعنى من خلال نظرية "النظم" حيث جعل الألفاظ أوعية للمعانى ومؤدية لها. ويعد هذا توضيحا للعلاقة بينهما، كما أنه ناقش الترتيب بين اللفظ والمعنى، وقد نظر بعض بلاغيى العرب إلى هذه العلاقة باعتبار حال السامع فحكموا بأن الألفاظ تقع أولا ثم تقع المعانى تالية لها. وقد خالف هذا الرأى فى قوله: "أنه إن نظر ناظر فى شأن المعانى والألفاظ إلى حال السامع فإذا رأى المعانى تقع فى نفسه من وقوع الألفاظ فى سمعه، ظن لذلك أن المعانى تبع للألفاظ فى ترتيبها"(١)

وقد أكد كلامه فى موضع آخر بقوله: "وشبيه بهذا التوهم منهم أنك قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعانى لا تترتب فى نفسه إلا بترتيب الألفاظ فى سمعه، ظن عند ذلك أن المعانى تبع للألفاظ، وأن الترتيب فيها مكتسب من الألفاظ ومن ترتيبها فى نطق المتكلم وهذا ظن فاسد ممن يظنه." (٢)

ونخلص من ذلك وغيره إلى أن الاعتبار ينبغى أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعانى معه لا مع السامع، وإذا نظرنا علمنا أنه محال أن يكون الترتيب فيها تبعا لترتيب الألفاظ ومكتسبا عنها، لأن ذلك يقتضى أن تكون الألفاظ سابقة للمعانى وأن تقع فى نفس الإنسان أولا ثم تقع المعانى من بعدها وتالية لها بالعكس مما يعلمه كل عاقل إذا هو لم يؤخذ من نفسه ولم يضرب حجابا بينه وبين عقله. (٣)

---

(١) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز ص ٢٠٨.
(٢) السابق ٣١٩-٣٢٠.
(٣) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز ص ٣٢٠.

واختياره هذا الترتيب وهو المعاني ثم الألفاظ، ورفضه للترتيب الآخر الذي يرى أن الألفاظ أولاً ثم المعاني، وهو اختلاف ناتج عن اختلاف الجهة؛ فالترتيب عنده باعتبار الواضع، وعند غيره باعتبار السامع.

غير أن هذا الترتيب يحمل فكرة الفصل بينهما، والمفاضلة، لذلك رأينا من يقول إن المعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضح من المعنى. [١] ويقول أيضاً:

"اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان يقفوا أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان لأن المعنى عقلي والعقل إلهي، ومادة اللفظ طبيعية، وكل طبيعي متهافت." [٢]

ومن غير المتصور عقلاً أن يكون للفظ وجود سابق على المعنى، فلم تكن الألفاظ يوماً جوفاء خالية من المعاني، أو المعاني متحققة دون ألفاظ ثم حدث أن التقت الألفاظ معانيها، وارتبطت بها بعد ذلك فعلاقتهما وتلازمهما حتمى، وجود أحدهما يقتضي مباشرة وجود الآخر وفى نفس اللحظة، فهما طرفا العلامة اللغوية؛ وجهان لعملة واحدة ويمكن تشبيه هذا الأمر على سبيل التقريب بالعلاقة بين الشخص والاسم الذي اختير له عند ولادته ليكون علماً عليه ويلازمه طوال حياته فلا يقال له قبل أن تسمى بهذا الاسم ماذا كنت؟ وهذا الاسم قبل أن تسمى به ماذا كان يعنى؟

ويرى الدكتور عبد العزيز حمودة أن الموقف الذي يصعب الاختلاف حوله هو التوحد الكامل للفظ والمعنى، وهو توحد يصعب الفصل على

---

(١) التوحيدى: المقابسات، تحقيق: حسن السندوبى ص ٧٤.

(٢) السابق ص ٧٥.

أساسه بين طرفى العلامة اللغوية، وقد تأكدت هذه العلاقة التى لا انفصـام لها فى اللغويات الحديثة بعد أن انتهى علم اللغة إلى مبدأين مهمين هما:

- رفض شفافية اللغة، القائل بأن اللغة وعاء شفاف يظهر الأشياء أو المواد التى بداخله.
- اعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو الـدال والمدلـول، وهـى علاقة يقيمها العرف الاجتماعى أولاً ثم يثبتها ثانياً. (١)

وقد أشار عبد القاهر إلى ثبات المعانى للألفاظ وعدم تغيرهـا بقولـه: "إن صور المعانى لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ" (٢)

ويقول أيضاً: "...أن العاقل إذا نظر عَلِمَ عِلْم ضرورة أنه لا سـبيل لـه إلى أن يكثر معانى اللفظ أو يقللها، لأن المعانى المودعة فى الألفاظ لا تتغير على الجملة عما أراده واضع اللغة" (٣).

وقد ناقش علماء العربية ثبات دلالة اللفظ داخل اللغة الواحدة، من خلال إجابتهم عن السؤال الآتى: هل للفظ الواحد دلالة واحدة؟

كان رأى الجاحظ أن للفظ الواحد دلالة واحدة، وأن مـن "حـق المعنـى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحالة له طبقاً، ويكون الاسم لـه لا فـاضلاً ولا مفضولاً ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً." (٤)

على حين يرى الرازى أن "المعانى والأفكار والعلوم فى نمـو مطـرد، وإذا قصرنا اللفظة الواحدة على فكرة واحدة فقد يأتى زمان تربو فيـه

---

(١) د.عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة ص ٢١١.
(٢) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز ص ٢٠٠.
(٣) السابق ص ٤٦٤.
(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١/٦٤.

أفكار الإنسان على ألفاظه، فما الوسائل التى يعبر بها البشر عن أفكارهم إذا ضاقت بها اللغة؟" [١]

ويدعم السيوطى هذا الرأى، حيث يرى صعوبة وضع لفظ لكل معنى، لأن المعانى لا تتناهى والألفاظ متناهية لأنها مركبة من حروف، والحروف متناهية. والمركب من المتناهى متناه، والمتناهى لا يضبط مالا يتناهى وإلا لزم تناهى المدلولات" [٢]

وقد استقر البحث فى هذه الثنائية فى علم اللغة الحديث على يد دى سوسير على النحو الآتى:

-أشار دى سوسير إلى أن أهم ما يميز الرمز اللغوى (اللفظ) أنه عشوائى ودائم فى وقت واحد فهو عشوائى لعدم وجود صلة مباشرة بين الاسم وكنه الشيء المسمى به، ودائم بمعنى أن الجماعة التى تتحدث هذه اللغة، تستعمل نفس اللفظ، أو العبارة للدلالة على نفس الشيء أو الفكرة التى يتحدثون عنها، مع التجاوز عن بعض الاختلافات البسيطة [٣]

ويشبه دى سوسير العلاقة بينهما بالعلاقة بين الروح والجسد، غير أنه يفضل على هذا التشبيه تشبيها آخر؛ حيث شبهها بمركب كيميائى (كالماء) المكون من أيدروجين وأكسجين، فلو أخذ كل عنصر منهما على حدة لما كانت لأيهما خصائص الماء.

---

(١) الرازى: التفسير الكبير ٣٣/١.

(٢) السيوطى: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ٤١/١.

(٣) دى سوسير: فصول فى علم اللغة العام، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين، ص ١٨٢.

ويشبهها أيضاً بقطعة من الورق؛ وجهها الفكرة أو المعنـى وظـهرها اللفظ، فكما لا يمكنك أن تقطع وجه الورقة دون أن تقطع ظهرها فى الوقـت نفسه، فكذلك لا يمكنك أن تفصل اللفظ عن المعنى. (١)

وتشبيه هذه العلاقة بالعلاقة بين الروح والجسد قديم فى التراث العربـى حيث يقول ابن طباطبا العلوى: "والكلام الذى لا معنى له كالجسـد الـذى لا روح فيه، كما قال بعض الحكماء: للكلام جسـد وروح، فجسـده النطـق وروحه معناه" (٢)

العلاقة بين اللفظ والمعنى عند دى سوسير:

أكد دى سوسير رفضه للرمزية الصوتية أو العلاقة الطبيعية بيـن اللفظ والمعنى أو بين الدال والمدلول، لأن الألفاظ عنده لا تشير إلى الأشـياء الموجودة فى الواقع، وإنما تشير إلى تصوراتنا الذهنية عن هذه الأشـياء، مما جعل هذه الثنائية تتفرع لتصبح ثلاثية الأبعاد وقد أشار إليـها بـالمثلث الدلالى (Semantical triangle)

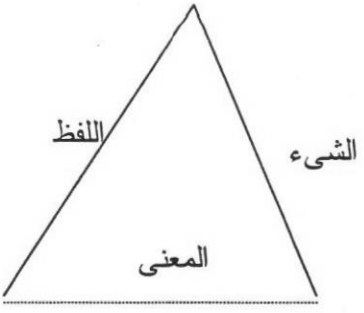

(١) السابق ص ١٩٧.
(٢)

وهو يقول "إن العلامة اللغوية لا تخلق وحدة بين اسم وشيء ولكن بين فكرة وصورة سمعية" [1] فاللفظ لا يشير إلى الشيء الذي يسمى به، وإنما يشير إلى صورة هذا الشيء في الذهن (وهوالمعنى)

وهذا المبدأ الذي أرساه دى سوسير في علم اللغة الحديث مسبوق في تراثنا العربي ومنصوص عليه صراحة، فقد تعرض بعض العلماء لعلاقة اللفظ بالمعنى وانقسموا حيال ذلك فريقين:

الأول: يرى أن اللفظ موضوع للصورة الذهنية.

الثاني: يرى أن اللفظ موضوع للموجود الخارجي.

فقد ذكر أبو بكر الرازى صراحة أن "للألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان، ولهذا السبب يُقال: الألفاظ تدل على المعاني، لأن المعاني هي التى عناها العاني، وهى أمور ذهنية" [2]

ثم يدعم ذلك بالأدلة الآتية:

إن اللفظ لو دل على الموجود الخارجي لكان إذا قال إنسان: العالم قديم، وقال آخر: العالم حادث، لزم كون العالم قديماً حادثاً معاً وهو محال، أما إذا قلنا إنها دالة على المعاني الذهنية كان هذان القولان دالين على حصول هذين الحكمين من هذين الإنسانين، وذلك لا يتناقض. [3]

وفى حديث الخطابي عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم نص يصور ذلك تصويراً دقيقاً فيما يشبه عناصر نظرية دى سوسير مع الوضع في الاعتبار فارق الزمن حيث يقول: "إنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور ثلاثة: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التى

---

(01) De Sausser: Course in general Linguistics P.98.

(٢) أبو بكر الرازى: التفسير الكبير ٣١/١.

(٣) السابق ٣١/١.

هي ظروف للمعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشـــياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظـوم التى يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض،..... وإنما يقوم الكلام بأشـــياء ثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم." [١]

وبقراءة هذا النص في ضوء نظرية العلامة اللغوية عند دى سوســـير نجد أنه تضمن عناصر النظرية في قوله:

- الألفاظ ظروف المعاني وحوامل لها.
- معاني الأشياء محمولة على تلك الألفاظ

معاني الأشياء وليس الأشياء ذاتها الموجودة في الواقع، أما ختـــام النـــص فهو شئ يدعو للإعجاب من دقة هذا الفكر "إنما يقوم الكلام بأشياء ثلاثـــة، لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم ؛ حيث لا فرق بينه وبين مـــا جاء به دى سوسير.

إن نص كلامه هو جوهر المثلث الدلالي الذي يصوره "دى سوسير"، أما مـــا انتهى إليه من تأكيد اعتباطية العلاقة بين اللفظ ومعناه، فموجود في تراثنـــا العربي، وإذا كان بعض علماء العربية قد أشاروا إلى وجود علاقة طبيعيـــة أو مناسبة بين اللفظ ومعناه، كما جاء عن "ابن عباد الصيمرى"، الذي قـــال بذلك.[٢] فقد أبدى علماء الكلام العرب ملاحظات رائدة في هذا الأمر، ومنـــهم "القاضي عبد الجبار" حيث يقول:

---

[١] الرمانى والخطابى وعبد القاهر: ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد وآخرين ص ٢٦-٢٧.

[٢] السيوطى: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ١٦/١.

"وليس من حق الكلام أن يكون مفيداً كما أن من حق القادر أن يكون حياً لأن كونه كلاماً لو اقتضى ذلك لاقتضاه في الشاهد والغائب، وفي علمنا بجواز وجود كلام غير مفيد دلالة على فساد هذا القول." (١)

ويقول أيضاً:"إن كل اسم في اللغة يصح أن يجعل في اللغة بدلالة غيره." (٢)

وقد أكد "ابن سينا" أن المتكلم باللغة هو الذي يخضع لفظاً معيناً لمعنى معين، وليس اللفظ هو الذي يقتضي المعنى، وإنما هي إرادة المتكلم بهذا اللفظ فيقول: "وذلك أن اللفظ بنفسه لا يدل البتة. ولولا ذلك لكان لكل لفظ حق من المعنى لا يجاوزه، بل إنما يدل بإرادة اللافظ. فكما أن اللافظ يطلقه على معنى، كالعين على الدينار. فيكون ذلك دلالته، كذلك إذا أخلاه في إطلاقه عن الدلالة بقي غير دال." (٣)

وقد أشار "ابن سنان الخفاجي" إلى تعلق المعاني بالألفاظ بقوله: "والكلام يتعلق بالمعاني والفوائد بالمواضعة لا لشيء من أحواله، وهو قبل المواضعة إذ لا اختصاص له، ولهذا جاز في الاسم الواحد أن تختلف مسمياته لاختلاف اللغات."(٤)

ومن أهم إشارات علماء الكلام لاعتباطية العلاقة بين اللفظ ومعناه، وأنها رهن باصطلاح الناس عليها قول "الآمدي: "إن هذه العبارات والتقديرات غير حقيقية، أي ليست أموراً عقلية بل اصطلاحية مختلفة

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ضبط نصه: إبراهيم الإبياري ٧/١٠.
(٢) السابق: ٧/١٦
(٣) ابن سينا: كتاب الشفاء، الفن الأول .
(٤) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة ص ٣٧.

باختلاف الأعصار والأمم. ولهذا لو وقع التواضع من أهل الاصطلاح على أن يكون التفاهم بنفرات وزمرات لكان ذلك جائزاً.[١]

وقد أكد ذلك الرازى من خلال تحليل هذه العلاقة، وقد ختم كلامه قائلاً: ظهر بما قلناه أنه لا معنى للكلام اللساني إلا الاصطلاح من الناس على جعل هذه الأصوات المقطعة والحروف المركبة معرفات لما في الضمائر، ولو قدرنا أنهم كانوا قد تواضعوا على جعل أشياء غيرها معرفات لما فى الضمائر، لكانت تلك الأشياء كلاماً أيضاً، وإذا كان كذلك لم يكن الكلام صفة حقيقية مثل العلم والقدرة والإرادة، بل أمراً وضعياً اصطلاحياً. [٢]

وينقلنا الكلام عن هذه الثنائية (اللفظ/المعنى) إلى أخرى أعم منها وهى قديمة قدم الدراسات اللغوية ثنائية (اللغة/الفكر).

اللغة / الفكر:

ننتقل من خلال مناقشة هذه الثنائية من الخاص إلى العام، وهى قضية جدلية نفصلها في إجابة الأسئلة الآتية:

ما الفكر؟ وما علاقته باللغة؟ وأيهما أسبق اللغة أم الفكر؟ وهل يتحقق أحدهما دون الآخر؟

تشعب بحث هذا الأمر بين مجالات المعرفة المختلفة مثل: الفلسفة، وعلم النفس، وعلم اللغة وغيرها من العلوم، والبحث فيه قديم يبدأ من فلاسفة اليونان أمثال: أفلاطون وأرسطو ويمتد حتى العصر الحديث، فقد تبناها عدد

---

(١) الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف ص ١٠٠-١٠١

(٢) أبو بكر الرازى: مفاتيح الغيب ٢٦/١.

كبير من العلماء أمثال: همبولت، وسابير، و وورف، حتى إنها أصبحت تعرف باسم فرضية سابير و وورف[١]

وتتجسد العلاقة بين طرفى هذه الثنائية فى أننا لا نستطيع أن نفكر في شيء ليس في استطاعتنا التعبير عنه باللغة، كما أننا لا يمكن أن نتكلم عن شئ لا نستطيع التفكير فيه.

ولما لم يكن من الممكن تصور الفكر أو الماهية التى يمكن أن تكون عليها الأفكار بدون لغة، دعا هذا بعض العلماء إلى القول بأن اللغة والفكر شيء واحد، وقد تفرعت وجهات النظر في هذا الموضوع على النحو الآتي:

١-القول بأن اللغة أسبق من الفكر.

٢-القول بأن الفكر أسبق من اللغة.

٣-الفكر هو اللغة، أو هما شيء واحد.

٤-الفكر واللغة متلازمان (اللغة أداة الفكر).

أولا: القول بأن اللغة أسبق من الفكر:

تستند هذه النظرية إلى القول بأن اللغة هي أداة الفكر، ولا يتصور حال الفكر بدون اللغة، وأن العقل هو المحرك والباعث على وجود اللغة والفكر، فهما من أدوات العقل لإدراك الموجودات، وأن اللغة هي القالب الذي يصب فيه الفكر، وينظم، ويقسم إلى وحدات. وهذا معناه أن اللغة وجدت أولا ثم تلاها الفكر "وأن إمكانية التفكير أولا وأخيرا تستند إلى اللغة التى تستخدم في إبراز عناصر الفكر، ففرض إنسان دون لغة معناه فرض إنسان دون فكر." [٢]

---

[١] د. عبد الله حامد حمد: فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية ص ٩-١١.

[٢] د. فايز ترحينى: العربية والمعجمات ص ١٢٦.

ثانياً: القول بأن الفكر أسبق من اللغة:

لأن الفكر جوهر، واللغة عرض، والجوهر يسـبق العـرض، وأن الفكر هو الذي أرشد إلى اختراع اللغة. فهو شيء مستقل عنها وله وحـدات تختلف عن وحدات اللغة، التى ليست هي جوهر الفكر ومن أدلة هذا الرأي:

١-أن الفكر يطور اللغة ويغير في ألفاظها ونحوهـا وصرفـها، ودلالتـها ليجعلها تفي بأغراض معينة.

٢-الرأي المعتمد في تفسير نشأة اللغـة عنـد العلمـاء هـو المواضعـة والاصطلاح، والمواضعة تمت عن طريق العقل والفكر وهمـا أداة الإنسـان لاختراع اللغة.

٣-أن الفكر أحياناً يتهم اللغة بالجمود أو القصور والعجز عن مجاراتـه وأن ألفاظها أو طرق تركيبها، لا تفي أحياناً بحاجاته، لأن اللغة محدودة والفكـر غير محدود، فكيف يكون المحدود وغير المحدود شيئاً واحداً؟ لذلـك يـرى جان بياجيه أن المعرفة أو الإدراك يسبق تشكيل اللغة[١]

وقد تتبع بياجيه العلاقة بين اللغة والفكر من خلال تقسيم النمو المعرفي لدى الطفل إلى أربع مراحل:

- في المرحلة الأولى تكون اللغة نتاجاً للنمو المعرفي.
- ثم تقوم بدور محدد في المرحلة التالية.
- ثم تلعب دوراً ضرورياً في مرحلة العمليات المادية لا ترقى فيه إلـى مستوى أنها تشكل إطاراً للفكر.

---

[1] Piaget, J.: The Language and thought of the child P.159.

- ثم يظهر دور اللغة في العمليات المنطقية والفرضية حيث تؤدى دورا مهما وحاسما. (١)

كذلك يرى فودر (Foder) أن جوهر العملية الفكرية يتسم بصفات كلية متجسدة بلغة داخلية، وهى واحدة عند جميع الناس، ولا علاقة لها بالتنوع الحاصل في اللغات نفسها. (٢)فالفكر عنده "لغة داخلية" مشتركة بين الناس جميعا

ويتلخص العائق الأساسي الذي يجابه هذا الرأي في السؤال الآتي:

كيف كان الفكر قبل أن توجد اللغة، وما هي الصورة التى كان عليها، وما السبيل إلى تحققه وخروجه من الذهن؟

ثالثا: القول بأن الفكر واللغة شيء واحد:

قال بهذا الرأي بعض الفلاسفة وعلماء اللغة، حيث يرى سابير (Sapir) أن تشكيل الفكر بدون اللغة أمر مستحيل، وأن الشعور الذي يساور الكثيرين، والذي يقضى بأنه يمكن التفكير أو التعليل بدون اللغة هو أمر وهمى. (٣)

وكذلك يرى همبولت أن اللغة هي الفكر فيقول: "إن اللغة هو العضو الأساسي للفكر.... فالفكر واللغة هما شيء واحد وغير قابلين للانفصال." (٤) كما يرى كيسلر (Koestler) أن التفكير ليس سوى الحركات اللاشعورية للأحبال الصوتية، وأنه نوع من الهمس غير المسموع

---

(1) Piaget, J.: Development and Learning pp.7-20.

(2) Foder, J.: The Modulrity of Mind P.

(3) Sapir,E.: Language P.15

(4)Humboldt W.: on Language: The Diversity of Human Language Structure p.

اللاشعورية للأحبال الصوتية، وأنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء ونفسه. [١]

فاللغة والفكر عنده شيء واحد، وأن الفكر ما هو إلا الصورة الداخلية للغة.

ومن الفلاسفة العرب من تبنى هذه النظرة، مثل الدكتور زكى نجيب محمود، الذي يرى أن اللغة هي الفكر، وأن التغيير في أي فكر لابد أن يسبقه تغيير مهم في طبيعة اللغة التى يستعملها أهل ذلك المجتمع حيث يوجد الفكر. فإيجاد ثورة فكرية يستلزم إيجاد ثورة لغوية أولاً. [٢]

أما الاعتراض الذي يجابه هذا الرأي فهو أن الذين ليس لديهم قدرة لغوية مثل الصم، لا أحد يستطيع أن يقول إنهم لا يفكرون، وأكبر دليل على ذلك حالة "هيلين كيلر" المشهورة التي حرمت حاستي السمع والبصر، فلم يتحقق لها جهاز لغوي للتواصل مع الآخرين، لكنها ظلت تفكر باستعمال بدائل اللغة. وهذا معناه أنها تفكر ولكنها غير قادرة على التعبير عما تفكر فيه إلا بعد تحقق وسيلة تسمح لها بذلك، فاستعانت بحاسة اللمس.

فهل نقول هنا إن الفكر وحاسة اللمس -وهى بديل اللغة في هذه الحالة- لديها شئ واحد؟

ونخلص إلى أن اللغة والفكر قدرتان مختلفتان، وفقد إحداهما لا يعنى فقد الأخرى.

رابعاً: القول بأن الفكر واللغة متلازمان:

اللغة هي مجموعة من الأصوات التى نعبر بها عن الأفكار، فهما متلازمان، لأن أحدهما هو وسيلة تحقق الآخر، لكن الرابط بين الفكر واللغة

---

[١] Koestler, A.: Act of Creation P.609.

[٢] د. زكى نجيب محمود: تجديد الفكر العربى ص ٢٠٥.

التي تعبر عنه ليس عضوياً أو حتمياً، لأنه من الممكن نقل الفكر من لغة إلى لغة، ولو كان الأمر كذلك، لأصبحت الترجمة من لغة إلى لغة مستحيلة، فعندما نترجم مثلاً مسرحية لشكسبير من الإنجليزية إلى العربية، فنحن ننقل فكر شكسبير من لغة إلى أخرى، دون أن يحدث خلل أو تغيير في هذا الفكر، كما أن الأفكار الإنسانية تكون أحياناً متشابهة، على اختلاف اللغات التى تعبر عنها.

اللغة أداة تحقق الفكر ووسيلته التى تنظمه وتظهره؛ فإذا كان القلم وسيلة الكتابة، ولولاه ما وجدت الكتابة ولا الكتاب، فإنه ليس الكتابة نفسها، وإنما هو وسيلتها. هكذا الحال مع اللغة والفكر، أحدهما ليس الآخر، ولكن بينهما علاقة تلازم واتصال، بدليل أنك قد تسمع شخصاً يعرض أفكاراً عظيمة، لكن لغته غير وافية، وقاصرة عن شرح الأفكار التي يقدمها، فيقول إنه غير قادر على توصيل فكره للناس لقصور في لغته لا في فكره.

ونستطيع أن نتصور هذه العلاقة كالعلاقة بين اللفظ والمعنى، وهى أن أحدهما يمثل الظاهر والآخر يمثل الباطن.

وقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع أن يفوق بين فكرتين تفريقاً حقيقياً بلا علامات لغوية، أي كلمات، فالتفكير بلا كلمات عائم، وليس في الفكر ما يفرض شكلاً معيناً للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعاً اعتباطياً، واللغة تقوم بدور الوسيط بين الفكرة والصوت (اللفظ) في حالة تدعو كل منهما إلى الآخر.[1]

---

(١) دى سوسير: فصول فى علم اللغة العام، ترجمة: د.أحمد نعيم الكراعين، ص ١٩٥، د. تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤.

بدون اللغة تعد الفكرة شيئاً غامضاً، وسحابة مجهولة، لا وجود لما يسبق الأفكار، ولا شيء واضح قبل ظهور اللغة.

إن الدور المتميز للغة، ليس خلق معان صوتية مادية لتحقيق الأفكار، ولكنها رابط بين الفكرة والصوت[1] ؛ لأن الأفكار لا تتحول إلى كلمات وكذلك الكلمات لا تتحول إلى أفكار أو مواد ذهنية، وإنما تظل الكلمات على ما هي عليه والأفكار على ما هي عليه، وتقوم اللغة بدور الوسيط في توحدهما.

وقد أثبتت الدراسات استقلال الفكر عن اللغة إلى حد كبير، بدليل أن اللغة ليست ثابتة على مر العصور، وإنما يصيبها التغيير والتبديل، فقد تختفي صيغ لغوية، وتستحدث صيغ أخرى تحل محلها وتفي بالغرض في التعبير عن الفكر.

والعلاقة بين الفكر واللغات المختلفة يمكن أن نشبهها بالعلاقة بين القيمة والعملات النقدية المختلفة؛ فالقيمة ثابتة والعملات متغيرة، ويمكن التعبير عن القيمة بأي من العملات على اختلاف الكمية في العملات مع ثبات القيمة.

فإذا كانت ورقة خمسة الجنيهات المصرية تساوى مثلاً ما يساويه دولار واحد، فإن الاثنين يختلفان فى العدد والنوع ويتحدان في القيمة. وخمسة الجنيهات هنا تساوى القيمة التى يساويها الدولار وليس الدولار نفسه، وهكذا يعبر عن هذه القيمة بعملات أخرى مختلفة، والقيمة هنا تقديرية عقلية، والعملات هي الجانب المحسوس والملموس من هذه القيمة.

---

[1] دى سوسير: فصول فى علم اللغة العام، ترجمة: د.أحمد نعيم الكراعين ص١٩٥، ١٩٦.

فالثبات للقيمة، والاختلاف فيما يعبر عن هذه القيمة وهذا هو الحال مع الفكر واللغة، الفكر ثابت واللغة متغيرة، الفكر هو مجموعة من العمليات الذهنية المعقدة والخفية، واللغة هي الصورة التي يظهر بها الفكر ويتجسد من خلالها ويخرج من دائرة عقل المتكلم إلى عقول الآخرين، كما أنها تنقل الماديات والمحسوسات من الواقع وتحولها إلى أفكار مجردة في الذهن ، فهي أداة نقل وتوصيل من العقول وإليها.

اللغة/ الكلام

إذا كانت اللغة- كما سبق أن أشرت-هي الجانب المحسوس من الفكر فإنها لا تتحقق في الواقع إلا من خلال الكلام، الذي هو الجانب الحي من اللغة.

وبذلك تقترب هذه الثنائية من الثنائيات السابقة، خصوصاً ثنائية: اللفظ والمعنى، فاللغة قواعد ضمنية لا وجود فعلى لها ووجودها متضمن في وجود الكلام الذي يتحقق وفقاً لها.

وقد ارتبطت هذه الثنائية بدى سوسير، وهى أحد الأركان الأساسية للنظرية اللغوية عنده، بل النظرية اللغوية في القرن العشرين، فقد وَسَّع دى سوسير دائرة البحث في هذا الأمر وتجاوز الثنائية المشهورة: اللغة/الكلام إلى الثلاثية السوسيرية المشهور: اللغة/اللسان/الكلام.

وقد اقتضى ذلك الخروج عن الخط المرسوم للبحث في الثنائيات لمناقشة هذا الثلاثية المترابطة ، وبالرغم من ذيوع هذه المصطلحات التي تمثل أبرز علامات علم اللغة الحديث، فإنها لم تسلم من أخطاء كثيرة في ترجمتها وتحديد مفاهيمها في اللغة العربية.

اللغة-اللسان-الكلام Langue-Langage-Parole:

يعرف سوسير اللغة Langue بأنها نظام من العلامات الذي يعبر عن الأفكار[١] وهى ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها البشر جميعا على اختلاف لغاتهم.

أما اللسان (Language) فيعرف بأنه: "ذخيرة رسبتها الممارسة الكلامية لدى متكلمين ينتمون إلى الجماعة نفسها، ونظام نحوى قائم في عقل كل متكلم لتلبية كل المقاصد والأغراض". [٢]اللسان غير اللغة، لأن اللسان لغة معينة من بين لغات العالم، وهو نظام لغة ما، أي اللغة بوصفها نظاما من الصيغ، واللسان هو ما يتمثله الأفراد عندما يتعلمون لغة ما. [٣]

وأما الكلام (Parole) فهو صور الأداء الفعلي الذي تسمح به اللغة المعينة أو اللسان، أي اللغة بوصفها نظاما من الصيغ في حين أن الكلام هو الحديث الفعلي. [٤]

ويقول دى سوسير: عندما نفصل بين اللسان والكلام فإننا نفصل ما هو جماعي عما هو فردى، وما هو جوهري عما هو إضافي أو عرضي. [٥] وإذا قارنا بين الكلام واللسان نقول: إن الكلام نشاط، واللغة نظام، الكلام سلوك واللغة قواعد هذا السلوك، ، الكلام فعل واللغة قانون هذا الفعل، الكلام حركة، واللغة ضبط هذه الحركة الكلام له وجود فعلى، واللغة ضمنية، الكلام فردى، واللغة جماعية، الكلام مادي، واللغة عقلية، الكلام أداء، واللغة طاقة وتقربنا هذه المقارنة من الثنائية الآتية: القدرة-الأداء.

---

(١) دى سوسير: فصول فى علم اللغة العام ص٤٠

(٢) جوناثان كلر: فرديناند دى سوسير، ترجمة عز الدين إسماعيل،ص٨٥.

(٣) السابق ص٨٥.

(٤) د. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة ص ٢٠٧.

(٥) دى سوسير: الدروس ١٤، ٣٠.

القدرة/الأداء: Competence-Performance

هذان المصطلحان يمثلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند تشومسكى[١] وقد وضحت نظرة تشومسكى العقلية التحليلية للغة من خلال تصويره للغة بتلك القدرة التى يمتلكها كل فرد داخل مجتمعه بحيث تمكنه- في مختلف المناسبات- من التعبير عما يريد من أفكار.... بجمل صحيحة جديدة لم يسمعها من قبل من خلال ما أسماه تشومسكى "المعرفة اللغوية"[٢]

ما أسماه تشومسكى Performance هو ما ينطقه الإنسان بالفعل وما أسماه Competence هو معرفة الفرد بلغته أو الملكة التى يتمتع بها الفرد وتتمثل في تمكن الفرد من القواعد الضمنية (التحتية) (Underlying rules) التي يحتاج إليها في الأداء.[٣] ودراسة الأداء تقدم التفسير الصوتي للغة، أما دراسة القدرة فتقدم التفسير الدلالي.[٤]

وقد صور هايمز (Hymes) قدرة الفرد على استعمال اللغة في أربعة مظاهر هي:

١-إلى أي مدى يكون الأمر ممكناً نحوياً. وهذا يرتبط بإمكانات اللغة

٢-إلى أي مدى يكون الأمر معقولاً أو مقبولاً من الناحية النفسية.

٣-إلى أي مدى يكون الأمر مناسباً للسياق الذي يوظف فيه.

---

(١) د. عبده الراجحى: النحو العربي والدرس الحديث، ص ١١٥.

(٢) ديفيد كريستل: التعريف بعلم اللغة، ترجمة د. حلمى خليل ص ١٣٧

(3) Chomsky,N: Aspects of the theory of Syntax p.40.

(٤) Ibid P.18.

٤-إلى أي مدى يكون الأمر متحققا (من حيث الأداء) أي ماذا قال؟ وكيـــف قال؟ وهذا المظهر خاص بالمتكلم والمتلقي (ماذا قال المتكلم؟ وكيف تقبلـــه المتلقي؟)[١]

كما اقترح هايمز أن تســـمى هـــذه القـــدرة: "القـــدرة الاتصاليـــة" Communicative Competence عن طريق ربطها باستعمال اللغة في البيئة الثقافية والحضارية التى تحيط بالمتكلم. [٢]

والقدرة أو "الكفاية اللغوية" للإنسان تتشكل في مراحل عمره الأولى في مرحلة اكتساب اللغة، فيقول تشومسكى: "إن للجمل معنى خاصا تحـــدده القاعدة النحوية، وكل من يمتلك لغة قد اكتسب بشكل ما قواعد لغتـــه التـــى تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص، وهذا الإنســـان قـــد طور في ذاته ما يسمى بالكفاية اللغوية." [٣] وذلك من خلال أدائـــه اللغـــوي في المواقف المختلفة ونستطيع أن نقول إن تشومسكى مـــن خـــلال هـــذه الثنائية قد طور ثنائية دى سوسير السابقة: اللغة/الكلام.

غير أن هناك فارقا أساسيا بين دى سوسير وتشومسكى وهـــو أن مفهوم اللغة (Langue) عند دى سوسير يختلـــف عـــن مفـــهوم القـــدرة (Competence) في أن تشومسكى يؤكد البعد الفردي لقواعد اللغـــة فـــي حين أن دى سوسير يؤكد البعد الجماعي لتلك القواعد. [٤]

---

(١) Hymes, D: on communicative Competence. P.281.

(2) Ibid P.281.

(3)Chomsky, N.: the formal Nature of Language P.125.

(٤) د. مازن الوعر: الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها فى الدراسات الأسلوبية ص ١٥.

وقد رأيت أن أشير هنا من خلال ثنائية تشومسكى إلى ثنائية شبيهة خاصة بابن خلدون وهى ثنائية: الملكة وصناعة اللغة، فالملكة عند ابن خلدون غير صناعة العربية، وهى مستغنية عنها بالجملة[1] "وذلك أن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً، ولا يعرفها حكماً." [2] فالملكة عنده هي طرائق استعمال العربية، والتصرف فيها وأدائها على نحو مناسب في المواقف المختلفة، والملكة موجودة عند جميع المتكلمين باللغة، لكنها ليست واحدة عندهم جميعاً على حد سواء، أما صناعة العربية فهي معرفة القوانين التى تنظم اللغة، وهى عند العلماء القائمين على دراسة اللغة واستخلاص القوانين الخاصة بها.

والبحث في ثنائية تشومسكى يقتضي طرح السؤال الآتي: كيف يتم التمييز بين القدرة اللغوية للفرد وأدائه؟ إذا كانت القدرة عقلية كامنة والأداء هو السلوك التنفيذي لهذه القدرة، فإن هذا لا يعنى أن صور الأداء الفردي هي انعكاس لهذه القدرة بشكل تام، لأنها كثيراً ما تسجل انحرافاً عنها لأن المتكلم يكيف هذه القدرة ويتصرف فيها طبقاً لمقتضيات المواقف والسياقات التى يتكلم فيها مما يؤكد "صعوبة التوصل إلى تلك الأقوال التى تعد مظاهر صحيحة لقدرة المتكلم، وتلك التى تعد انحرافات في الأداء. [3]

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ١٠٨٣.
(٢) ابن خلدون: المقدمة ص ١٠٨٣.
(٣) جودث جرين: علم اللغة النفسى (تشومسكى وعلم النفس) ترجمة: د.مصطفى التونى ص١٢١.

ويمكن تشبيه العلاقة بين طرفـــى هـــذه الثنائيـــة، بالعلاقـــة بيـــن النظريات العلمية المجردة والتطبيقات العملية لها في الحياة للإفـــادة منـــها، فهذه التطبيقات ليست النظرية العلمية ذاتها دون زيادة أو نقص، وإنما يتـــم التصرف فيها بالتعديل والتغيير حتى تتلاءم مع الواقع.

ويمكن في النهاية تلخيص الأمر- من خلال لمرة تشومسكى- فـــي أن معرفة الفرد للغة لها جانبان:

الأول: القدرة، وهى عبارة عن معرفة الفرد بقواعد اللغة، وقدرتـــه علـــى توليد عدد غير متناه من الجمل الصحيحة التى لم يسمعها من قبل فى ضوء هذه القواعد.

الثانى: الأداء، وهو عبارة عن إظهار لهذه القدرة فى صورة حيـــة وهـــى الكلام، واستخدام قواعد اللغة في سياقات جديدة.

التوليد/التحويل: Generation-transformation

يعالج تشومسكى اللغة-من خلال هذه الثنائية-على أساس أنها أحد إبداعات العقل البشرى، فالعقل هو الســـبيل لاكتســـاب اللغـــة، وتنظيمـــها والاحتفاظ بها لإعادة استخدامها في المواقـــف المختلفـــة بشـــكل صحيـــح وملائم. "فلا وجود للغة خارج إطار تصورها العقلي، ومهما تكن خصائصـــها فهي تختص بها عبر المسار العقلي الفطري للجهاز العضوي الذي أوجدهـــا، ويوجدها في كل جيل، ويوجد فيها في الوقت نفســـه الخصـــائص المتعلقـــة بشروط استعمالها."[1]

والتوليد والتحويل عمليات إجرائية ذهنية تجرى في اللغـــة داخـــل العقل، والتوليد-عند تشومسكى-أن العقل الإنساني الذي ينظم اللغـــة قـــادر

---

[1] Chomsky,N.: Language and Mind P.19

من خلال عدد محدود ومتناه من قواعد اللغة-على إنتاج وفهم عدد غير متناه من الجمل والتراكيب، حتى لو لم يكن المتكلم قد سمعها من قبل."فاللغة الإنسانية تتجلى من خلال استعمالها الإبداعي في القدرة الخاصة على التعبير عن الأفكار المتجددة، وعلى فهم تعبيرات فكرية جديدة في إطار لغة هي نتاج ثقافي خاضع لقوانين ومبادئ تخص اللغة من ناحية، وتعكس خصائص عامة للفكر من ناحية أخرى."[١] فالتوليد مظهر من مظاهر القدرة اللغوية، التى يمتلكها الفرد داخل الجماعة اللغوية الواحدة، والتي يتمكن بها من التعبير المتجدد عن نفسه، وعما يحيط به.

كما عرف تشومسكى قواعد اللغة بأنها جهاز لتوليد جميع الجمل النحوية الصحيحة في لغة معينة، فهو يرى أن مهمة القواعد النحوية أن تكون قادرة على توليد أو خلق الجمل الصحيحة.[٢]

وقواعد النحو في لغة ما يجب أن تعطى وصفاً جامعاً للعبارات والجمل الصحيحة ومانعاً للعبارات والجمل الخاطئة. "فهو يرى أن نحو اللغة يجب أن يكون أداة لتوليد جميع العبارات الصحيحة، وأن يستثنى العبارات غير الصحيحة." [٣] والشخص الذي يتعلم لغة ما يكتسب نظاماً من القوانين يستخدمها في إنتاج الكلام وفهمه. [٤]

أما الجانب الثاني من هذه الثنائية وهو التحويل (Transformation) فهو عبارة عن مجموعة من العمليات التحويلية التى يمر بها التركيب ذهنياً وتجعله صالحاً للظهور على السطح في بنية

---

(1) Ibid p.19.

(٢) ديفيد كريستل: التعريف بعلم اللغة، ترجمة د. حلمى خليل ص ١٣٥.

(3) Chomsky.N: syntactic structures p.13.

(4) Chomsky,N: Aspects of the theory of Syntax p.9.

جديدة وهي البنية السطحية (Sarface Structure) أو الظاهرة والاختلاف ما بين البنيتين (العميقة والسطحية) هو الدور الذي تؤديه القواعد التحويلية.

ويفرق تشومسكي بين نوعين من القوانين:

الأول: قوانين بناء العبارة وتوليد جمل صحيحة وفقاً لقواعد اللغة.

الثاني: قوانين تحويلية، وهذه القوانين تبدأ عملها بعد أن تنجز القوانين السابقة عملها في تكوين الجمل والعبارات، لأنها لا تعمل في المفردات وإنما تعمل في الجمل والتركيبات اللغوية.، ويجب الإشارة إلى أنه ليس كل التركيبات اللغوية صالحة لأن تطبق عليها القوانين التحويلية.

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية في ضوء النحو التحويلي نجد أنه لا يعمل في الألفاظ المفردة، شأنه في ذلك شأن النحو بعامة، فالنحو موضوعه الجملة، أما ما يحدث من تحويلات صوتية بالحذف أو الزيادة أو التحريك أو التسكين أو الإعلال أو الإبدال، وخلافه مما يحدث في الألفاظ المفردة، فليس موضوعاً للنحو، وإنما هو من اختصاص الأصوات والصرف، كما إنه ليس كل التركيبات النحوية قابلة للتحويل بإعادة الترتيب، بسبب وجود بعض الرتب المحفوظة.

والكلام عن القوانين التحويلية يعنى وجود بنيتين للتركيب؛ الأولى: هي البنية الأصلية، والأخرى: هي البنية المحولة عنها، مما يدفعنا لاستكمال ثنائيات تشومسكى: البنية العميقة والبنية السطحية.

البنية العميقة-البنية السطحية: **Deep & Sarface Structure**

هذه الثنائية تكمل المنظومة التشومسكية المشهورة للثنائيات اللغوية وهى:

القدرة ___ الأداء

التوليد ___ التحويل

البنية العميقة ___ البنية السطحية

إن اعتبار اللغة عملاً للعقل أو آلة للفكر والتعبير الذاتي يعني أن للغة جانبين، جانباً داخلياً وأخر خارجياً وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين، أما الأول فيعبر عن الفكر وأما الثاني فيعبر عن شكلها الفيزيقي باعتبارها أصواتاً ملفوظة.[1]

أوضح تشومسكى ازدواج البنية اللغوية؛ فهي ذات طبقتين؛ الطبقة السطحية وهى محولة عن البنية العميقة بواسطة القوانين التحويلية، التى يسمح بها النظام اللغوي. ويتبادر إلى الذهن مجموعة من الأسئلة ومن خلال الإجابة عليها أقدم تحليلاً لهذه الثنائية.

الأول: عن حدود الاختلاف أو الاستقلال بين البنيتين العميقة والسطحية.

البنية العميقة أو الذهنية هي البنية السطحية في صورتها الأولى، قبل المرور بالقوانين التحويلية التى غيرت صورتها قبل الظهور، فالثانية هي صورة الأولى المسموح لها بالظهور.

فالبنية السطحية هي ترتيب العناصر المنطوقة داخل الجملة، أو هي العلاقات الظاهرة في التركيب، أما العميقة فهي العلاقات الرأسية أو الاستبدالية داخل الجملة، ويرى تشومسكى أن اللغات متشابهة في البنية العميقة أو الداخلية أما في البنية السطحية فهي مختلفة ومتنوعة، وهى

[1] د. عبده الراجحى: النحو العربى والدرس الحديث، ص ١٢٤

غالبا لا تعكس حقيقة البنية العميقة، كما أكد أن البنية السطحية لا تقود إلـى حقيقة المعنى، وهى غير معلمة عن فحواه. [١]

وقد دفعه إلى تلك النظرة إيمانه بأن ظاهر الجمل في اللغة قد يكـون خادعا بالنظر إلى المعنى الذي تؤديه، وبأن بعض الجمل قد توقـــع بنيتـــها السطحية اللبس في المعنى مثل: أكل الولد الطعام الذي أعدتـــه أمـــه فـــي الحديقة،

كان عقاب على صارما، كان ضرب زيد شديدا [٢]

والخلاصة أن البنيتين معا تشكلان تركيبا لغويا واحدا، ولا اسـتقلال لإحداهما عن الأخرى.

والسؤال التالي عن مساحة الدور الذي تؤديه القوانين التحويلية فـــي نقـــل التركيب من صورته العميقة إلى صورته السطحية.

إن عمليات التحويل أحيانا تكون معقدة، ومتعددة الخطوات وأحيانـــا أخرى تكون عمليات بسيطة، وفى كل الأحوال هي حلقة الوصل بين البنيتين العميقة والسطحية.وإذا كان هذا دور قوانين التحويل، ما هـــو دور قوانيـــن التوليد؟

"أكد تشومسكى أن دور قوانين بنية العبارة (القوانين التوليدية) يقتصر على توليد الأبنية العميقة..... وهكذا يكون تشومسكى إجمالا على النقيض مـــن الفكرة التى تذهب إلى أن البنية السطحية يمكن أن تولدهـــا بشـــكل مباشـــر قوانين بنية العبارة[٣]

---

[1] Chomsky,N: Language and Mind. P.37.

[٢] ديفيد كريستل: التعريف بعلم اللغة، ترجمة د. حلمى خليل ص ١٣٩.

[٣] جودث جرين: علم اللغة النفسى؛ ترجمة: د. مصطفى التونى ص ١٨٢.

أما القوانين التحويلية عند تشومسكى-فهي المسئولة عن الصورة النهائية التى يظهر بها التركيب.

وأود أن أشير هنا إلى أنه ليس كل تركيب لابد أن تتوفر له بنيتان مختلفتان؛ إحداهما عميقة، والأخرى سطحية، ففي بعض التراكيب تتشابه البنيتان وتتطابقان لفظاً ومعنى.

التفسير الدلالي للجملة:

إذا كانت الأبنية السطحية لبنية عميقة واحدة قد تتعدد، فإنه لا يكفى-لتقديم تفسير دلالي ملائم للجملة-النظر في التركيب السطحي، ولابد من تحليل بنيته العميقة، وتُعد البنية العميقة إنتاجاً لقوانين بنية العبارة في المكون النظمي، وأساساً للمكون الدلالي، كما تُعد البنية السطحية إنتاجاً للقوانين التحويلية، وأساساً للمكون الفونولوجى[1]

ويتضح ذلك من خلال النموذج الآتي:

ألفاظ (معجم) ← (قانون بنية (التوليد)) بنية عميقة ← مكون دلالى

بنية عميقة ← (قانون تحويلى) بنية سطحية ← مكون فونولوجى

مما سبق نلاحظ أن التفسير الدلالي للجملة يعتمد على البنية العميقة التى يجب أن تتضمن كل المعلومات اللازمة لتفسير الجملة، لأن تفسير معنى الجملة قائم على فهم العلاقات النحوية الأساسية.

السماع/القياس:

---

[1] السابق ص ١٨٢.

السماع والقياس الركيزتان اللتان تحفظ بهما اللغة وتنمو وتتجدد. فالأول: يعمل على ثبات اللغة واستمرارها وانتقالها من السلف إلى الخلف. والثاني: إلى جانب الثبات فإنه يعمل على تجديد اللغة ونموهـا واتسـاعها واطراد قواعدها ونظامها. وبين هاتين الركيزتين تعمل آلة اللغة باستمرار.

السماع:

السماع هو الرواية، بشرط أن يكون الراوي سمع بنفسه ما يرويـه عن غيره، فإن كان هناك فاصل بين الراوي السامع والمروى عنـه، كـأن يكون بينهما راوٍ آخر أو كتاب مؤلف، فيعد ذلك رواية لا سماعا[١].

وقد عُرِّف السماع بأنه: الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن النـاطقين بها. وعلى هذا المنهج أقام علماء العربية الأوائل علمهم فقد خرج الكسـائى إلى الحجاز فأقام مدة في البادية، حتى حصل من ذلك ما ذكر أنه أفنى عليـه خمس عشرة قنينة من الحبر غير ما حفظه. [٢] كمـا عُـرِّف السـماع أو النقل بأنه الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عـن حـد القلة إلى حد الكثرة. [٣]

وهو الكلام المسموع المنقول عن العرب الفصحاء، والذي دونـت بموجبـه اللغة. وأعلاه درجة القرآن الكريم وتليه أحاديث الرسول- صلى الله عليـه وسلم- ثم ما أثر عن الصحابة. وما ورد عن العرب الفصحاء قبـل فسـاد اللغة نثراً ونظما[٤]

أسس السماع عند البصريين:

---

[١] د. محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ص ٣٤١

[٢] ياقوت الحموى: معجم الأدباء ١٦٨/١٣.

[٣] أبو البركات الأنبارى: لمع الأدلة، ص ٨١.

[٤] أبو البركات الأنبارى: لمع الأدلة، ص ٨١، السيوطى: الاقتراح ص١٤.

بنى البصريون منهجهم فى السماع عن العرب في جمع المادة اللغوية على تقسيم القبائل العربية إلى درجات متفاوتة في الفصاحة.
فقال بعضهم: "لست أقول قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوزان وبنى كلاب وبنى هلال أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية .[١]
وقد أضاف سيبويه إلى السماع عن فصحاء العرب، السماع عن علماء العربية الموثوق بهم ومن تحريه في السماع عن العرب قوله: "زعم أبو الخطاب- وسألته غير مرة - أن ناسا من العرب يوثق بعربيتهم وهم بنو سليم يجعلون باب: قلت أجمع مثل: ظننت"[٢]
فالسماع عن العرب هو المصدر الأساسي للتقعيد عند النحاة الأوائل حتى أن القصة المعروفة لنشأة النحو قامت على السماع، فالبداية كانت سماع الكاتب لما يقوله أبو الأسود الدؤلى وضبط المصحف تبعا لما يسمع.
وكذلك الخليل فقد روى أن الكسائى سأله: "من أين أخذت علمك؟ فأجابه من بوادى الحجاز ونجد وتهامة".[٣]
"وزعم الخليل رحمه الله أنه سمع بعض العرب يقول: يا أنت: فزعم أنهم جعلوه موضع المفرد....." "ومن ذلك قول العرب: من أنت زيدا، فزعم يونس أنه على قوله: من أنت نذكر زيدا، ولكنه كثر في كلامهم واستعمل واستغلوا عن إظهاره[٤]

وهناك أحكام نحوية نقف فيها عند السماع، ويمتنع القياس مثل: الاتساع في حذف حرف الجر فيما يتعدى بحرف، ثم يحذف وينصب فيلحق بباب "أعطيت" نحو: اخترت الرجال زيدا، وأمرتك الخير يقول ابن خروف "وهو موقوف على السماع"[٥]

كما أن السماع مقدم على القياس. فيقول ابن مضاء: "....وهذا لا يجوز عندي حتى يسمع من العرب." [٦]

---

(١) نوادر أبى زيد ص ٥.
(٢) سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون ١٢٤/١.
(٣) القفطى: إنباه الرواة ٢٥٨/٢.
(٤) القفطى: إنباه الرواة ٢٩١/١، ٢٩٢.
(٥) ابن خروف: شرح جمل الزجاجى، تحقيق ودراسة: د. سلوى محمد عمر ٣٥٧/١.
(٦) ابن مضاء : الرد على النحاة، تحقيق: شوقى ضيف ص ٢.

وقد قسم ابن هشام السماع إلى درجات وبين المصطلحات الواردة فيه فيقول: "اعلم أنهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً، فالمطرد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء، ولكنه يتخلف ، والكثير دونه، والقليل دون الكثير، والنادر أقل من القليل، فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبها، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر، فعلم بهذا مراتب ما يقال فيه ذلك"[١]

القياس:

القياس في اللغة هو التقدير، وقاس الشيء قدره على مثاله. [٢]

أما في الاصطلاح فقد عرفه العلماء غير مرة. اذكر منها التعريفات الآتية:

القياس هو الجمع بين أول وثان يقتضيه، في صحة الأول صحة الثاني، وفى فساد الثاني فساد الأول. [٣] وعرفه الأنبارى بقوله: هو "حمل فرع على أصل بعله، وإجراء حكم الأصل على الفرع." أو هو تقدير الفرع بحكم الأصل، ولابد له من أربعة أركان: أصل وفرع وعلة وحكم. وقيل هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، وقيل هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع، وهذه الحدود كلها متقاربة. [٤]

وقد استقر القياس ضمن أصول النحو في مرحلة متأخرة عن السماع، وقد بدأ القياس في النحو فطرياً طبيعياً عن طريق إدراك الأشباه والنظائر والحاجة إلى استقصاء قواعد اللغة. ثم حذو القياس الفقهي وأصبح له حدود وأركان ومصطلحات.

---

(١) السيوطى: المزهر ١/٢٣٤.
(٢) ابن منظور: لسان العرب ٣/٢٠٠ مادة قيس.
(٣) الرمانى: الحدود فى النحو ص ٣٨.
(٤) الأنبارى: لمع الأدلة فى أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغانى ص ٩٣.

نشأة القياس وتطوره:

ارتبط القياس في نشأته بعدد من علماء العربية الأوائل، الذين ذكر القياس مقرونا بأسمائهم، ويمكن تقسيم نشأته على النحو الآتي:

١-مرحلة وضع القياس: يعود أقدم ذكر للقياس إلى أبى الأسود الدؤلى فقد كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها، ووضع قياسها. كما جاء في طبقات النحويين واللغويين" أن أول من أصل ذلك وأعمل فكره فيه هو أبو الأسود. ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا.....فكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول ومد من القياس ..... [١]

٢-مرحلة مد القياس: ارتبط القياس في هذه المرحلة باسم عبد الله بن أبى اسحق الذي وصف بأنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل.....وكان أشد تجريدا للقياس"[٢]

٣-مرحلة الخليل الذي يرجع إليه الفضل في توسيع القياس وتصحيحه وقد اعتمد عليه في وضع كتاب العين ، وهو الذي جعله أصلا من أصول النحو. [٣] وتابعه في ذلك سيبويه.

٤-مرحلة أبى على الفارسي الذي كان يقول: "أخطئ في خمسين مسألة فى اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس"[٤]

---

(١) ابن سلام الجمحى: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر ١٢/١.الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٢٦.

(٢)ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٥/١.

(٣)السيرافى: أخبار النحويين البصريين ص ٣٨.

(٤)ابن جنى: الخصائص ١٧٦/٢.

٥-مرحلة ابن جنى، فقد كان محباً للقياس لدرجة جعلته يقول: واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس[١]. وقد قسم القياس إلى أربعة أقسام: حمل فرع على أصل، وحمل أصل على فرع، وحمل نظير على نظير، وحمل ضد على ضد. [٢]

٦-مرحلة الأنبارى، ويعد أبو البركات الأنبارى أول من حدد أصول النحو على قياس أصول الفقه وأفرد لها التأليف في كتابه: لمع الأدلة في أصول النحو، وقد نص هو على أنه جعل هذا الكتاب على طريقة علماء أصول الفقه لأن بين العلمين من المناسبة ما لا يخفى[٣]. وقد قيل عن منهج الأنبارى في هذا الكتاب أنه غريب عن اللغة حتى يشعر القارئ أنه كتاب في أصول الفقه منقول إلى اللغة. [٤] وقد اتضحت في هذه المرحلة-التى أرسى فيها الأنبارى قواعد القياس باعتباره أصلاً من أصول النحو- حدود القياس-وتعريفاته وأركانه وشروطه.

القياس بين الكوفة والبصرة:

القياس عند نحاة العربية عملية لغوية منظمة لها ضوابط وشروط يقوم بها اللغوي العالم بدقائق اللغة وأسرارها لضبط قواعد اللغة واطرادها. وقد كان علماء البصرة يعتزون باطراد القاعدة عن طريق الأقيسة ويفضلونها على الاعتماد على أمثلة قليلة أو نصوص نادرة.

أما الكوفيون فكانوا يتصرفون في القاعدة بما يتناسب مع الشواهد المروية عن العرب حتى وإن كانت قليلة.

---

(١) ابن جنى: الخصائص ١٧٦/٢

(٢) السابق ٣٠٠/١

(٣) الأنبارى: نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ص ٧٦.

(٤) فاضل السامرائى: أبو البركات الأنبارى ودراساته النحوية ص ٢٠٧.

ومن الدوافع التى وجهت أصحاب القياس إلى وجهتهم هذه- فيما اعتقد- أن كثرة بالغة من طلاب اللغة لم يكونوا من العرب، فكانت مسألة القياس ووضع اللغة تحت كليات عامة أسهل بكثير من محاولة الإحاطة باللغة وحصر ما يمكن حصره منها عن طريق السماع[١]

ويمكن أن يفسر هذا الرأي ميل البصريين أكثر من الكوفيين إلى اصطناع القياس حتى عد من سمات منهجهم فى دراسة اللغة، ذلك أن طلاب اللغة من غير العرب في البصرة يربى عددهم كثيرا على أمثالهم فى الكوفة. [٢]

فاختلاف الكسائى وسيبويه في المسألة الزنبورية المشهورة ناتج عن اختلاف المنهج المعتمد لدى المدرستين البصرية والكوفية. [٣]

لذلك كان الكوفيون يوافقون أئمة القراء حتى وإن اصطدمت القراءة بالقياس يقول الفراء: "اتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلى من خلافه، قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقرأ: "إن هذين لساحران"[٤] ولست أجترئ على ذلك، وقرأ: "فأصدق وأكون"[٥] فزاد واوا في الكتاب، ولست استحب ذلك".[٦]

---

(١) عبد الحميد الشلقانى: رواية اللغة ص ٣١٩.

(٢)محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ص ٣٤٥.

(٣)ثعلب: مجالس العلماء ص ٨، الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف ويا قوت الحموى: معجم الأدباء ١٨٥/١٣

(٤)سورة طه آية ٦٣.

(٥) المنافقون آية ١٠ .

(٦) ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة ص ١١،وتفسير القرطبى ٢١٦/١١.

تكامل السماع والقياس:

السماع والقياس ليسا بضدين: ولكنهما منهجان متكاملان في دراسة اللغة- كل يعمل في اتجاه قد يبدو عكس الآخر، لكنهما فى النهاية يتقابلان ويجتمعان على هدف واحد، والسماع مقدم على القياس فإذا وجد في مسألة سماع وقياس فإن السماع يغلب القياس ويبطله يقول ابن جنى: "إذا أداك القياس إلى شيء، ثم سمعت العرب نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه، وهذا يشبه شيئاً من أصول الفقه، وهو نقض الاجتهاد إذا بان النص بخلافه. [١] وقد كان سيبويه ينسب العلة والقياس إلى العرب أنفسهم، وإنما عمل النحوي شرح أقيستهم، فمبادئ القياس عنده إذن ترجمة لسمات الإبداع عند الناطقين بالعربية[٢].

فقد جعل علماء العربية السماع أصلاً والقياس فرعاً ينوب عنه ويعقبه إذا لم يكن موجوداً وقد قاسوا ذلك على علم آخر من علوم المسلمين وهو أصول الفقه. فإذا ورد السماع بشيء بطل القياس. [٣]وقالوا أيضاً: "يؤخذ منه أنه إذا سمع فيه غير قياسه امتنع النطق بقياسه، وهو أحد قولين في المصدر الوارد على خلاف قياسه، وهو نظير ما نحن فيه. [٤]

إن الشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً والشيء المقيس عليه معلوم الحكم، وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع[٥]

---

(١) ابن جنى: الخصائص ١/١٢٥

(٢) شكرى عياد: اللغة والإبداع، ص ١٠٧,

(٣)البغدادى: خزانة الأدب ٣/٥٥٩.

(٤)الأشمونى: شرح الأشمونى على الألفية ٣/١٧٣.

(٥)ابن مضاء: الرد على النحاة، تحقيق: شوقى ضيف ص ٨٧

وقد فتح القياس باب الطعن في النحو العربي القديم على أيدي بعض المحدثين.

القياس عند دى سوسير:

في كل فترة تحل صيغة جديدة، وتطرد منافسها، بشكل طبيعي يخلق شئ ويهجر شئ آخر والنتيجة أن القياس يشغل حيزاً مرموقاً أو متفوقاً في نظرية التطور. وهذه هي النقطة التى أرغب في تأكيدها.[١]

أركان القياس:

١-التقليدى أو ما أسماه (الوريث الشرعي)

٢-المنافس

٣-الصفة الجامعة المشكلة من الصيغ التى تخلق المنافس. [٢]

فالقياس عند دى سوسير قوة مجددة وحافظة فى ذات الوقت وقد تكلم عن قوته وفعاليته، وأن التجديدات القياسية أكثر وضوحاً من الأصل خلال تشبيه اللغة بثوب مغطى بقطع مقصوصة من قماشها، وبالرغم أن أربع أخماس اللغة الفرنسية من الهندوأوربية الأصلية، فإن الكلمات التى انتقلت من غير تغيير قياسى من اللغة الأم إلى الفرنسية لا تشغل حيزاً أكثر من صحيفة، وأن الغالبية العظمى من الكلمات هى-بشكل أو بآخر-تجمعات جديدة لعناصر صوتية منتزعة من صيغ قديمة. [٣]

---

[١] دى سوسير: فصول فى علم اللغة العام، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين ص٢٩٤.
[٢] السابق ص٢٨٥.
[٣] السابق ص٢٩٨-٢٩٩.

الخاتمة

-لا أدعى أن هذا البحث يحمل طابع الإبداع، لأنه يقوم على التفسير والتحليل لبعض المصطلحات اللغوية التى تشكل الملامح البارزة في حقل الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً، لأن هذه المصطلحات عناوين لقضايا لغوية جوهرية تشغل بال الباحثين في هذا المجال على اختلاف المدارس والاتجاهات.

-وقد شجعنى لبحث هذا الأمر إيماني بأهمية المصطلح في مجال العلم فالمصطلحات مفاتيح العلم ومداخله التى متى استقامت واتضحت حدودها ومفاهيمها سار العلم في الاتجاه الصحيح.

-المصطلح هو وسيلة العالم للتعبير عن فكره وعلمه ومنهجه في هذا العلم، وعلم اللغة لم يتوقف في كل مراحله التى مر بها عن وضع مصطلحات جديدة، وهذه التراكمات من المصطلحات في علم اللغة مرتبط بعضها ببعض، ومتعاقب بعضها مع بعض ومترتب بعضها على بعض، فهى تأتى مكملة لنقص أو شارحة لغموض، أو هي شكل متطور عن المصطلح القديم.

-فكرة الازدواج أو الثنائية فكرة عميقة ضاربة بجذورها عبر التاريخ الطويل للفكر اللغوي منذ أقدم عصوره حتى أحدث المناهج التى تسعى لدراسة اللغة دراسة علمية موضوعية وقد أفادت لتحقيق هذه الغاية من مناهج علوم أخرى مثل المنهج النفسي والعقلي والاجتماعي والإحصائي إلى غير ذلك مما يحقق لعلم اللغة نتائج أدق وأفضل

-الثنائيات التى تم تحليلها من خلال هذا البحث هي سبع ثنائيات تمثل أشهر المصطلحات في تاريخ الفكر اللغوي سبقت بتمهيد عبارة عن سرد لأشهر المصطلحات الثنائية في المجالات المختلفة للغة. وهى على النحو الآتي:

١-اللفظ/ المعنى ٢-اللغة/ الفكر ٣-اللغة/ الكلام

٤-القدرة/ الأداء ٥-التوليد/ التحويل ٦-البنية السطحية/ البنية العميقة

-إذا نظرنا إلى المصطلحات التى تناولها البحث نلاحظ أنها ليست جميعها من أصل لغوى، أو نشأت في الأساس في علم اللغة وإنما بعضها دخل علم اللغة من علوم أخرى منها على سبيل المثال:

الأصل/ الفرع، السماع/ القياس، المطرد/ الشاذ، المثير / الاستجابة.

-كثير من هذه المصطلحات التى تنسب لعلم اللغة الحديث ومدارسه المتعددة فى الغرب، قد سبقت الإشارة إليها في مؤلفات علماء المسلمين الأوائل وقد نصوا عليها نصاً كما أوضح البحث.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

أبو بكر الرازى:- التفسـير الكبـير (مفـاتيح الغيـب) (المطبعـة البهيـة المصرية-القاهرة،١٩٨٣م).

أبو زيد الأنصاري:- النوادر في اللغة (دار الكتاب العربي-بيروت)

الأنبارى (أبو البركات عبد الرحمن):- الإغراب في جـدل الإعـراب ولمـع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني (مطبعـة الجامعة السورية-دمشق، ١٩٥٧م)

:-نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائى (مكتبة الأندلس-بغداد، ١٩٧٠م ط٢)

:- الإنصاف فى مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيى الدين عبـد الحميد (المكتبة العصرية-بيروت، ١٩٨٧م)

تمام حسان:- اللغة العربية معناها ومبناها (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م)

التوحيدى:-المقابسات، تحقيق: حسن السندوبى (دار سعاد الصباح-الكويت والقاهرة، ١٩٩٢م ط٢)

ثعلب:- مجالس العلماء، تحقيق: عبـد السـلام هـارون (دار المعـارف-القاهرة،١٩٦٠م)

الجاحظ :-البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هـارون (مكتبـة الحلبـى-القاهرة، د.ت، ط٢)

-الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون(مكتبة الخـانجى-القـاهرة، د.ت)

ابن جنى: -الخصائص، تحقيق: محمد على النجار (الهيئة المصرية العامـة للكتاب-القاهرة)

-المنصف في شرح التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين (دار إحياء التراث-القاهرة، ١٩٥٤م)

ابن خروف:- شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة: سلوى محمد عمر (سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها-جامعة أم القرى-مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ)

ابن رشيق:- العمدة في صناعة الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الجيل-بيروت،١٩٧٢م)

الرماني:- الحدود في النحو، منشور ضمن كتاب: "رسائل في النحو واللغة"، تحقيق: مصطفى جواد، ويوسف يعقوب (بغداد، ١٩٦٩م)

الرماني والخطابي وعبد القاهر:-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله وآخرين- دار المعارف-القاهرة، ١٩٧٦م)

زكي نجيب محمود:-تجديد الفكر العربي (دار الشروق-بيروت، ١٩٧٣م)

ابن سلام الجمحي:- طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (مطبعة المدني-جدة، د.ت).

ابن سنان:- سر الفصاحة، تحقيق: على فودة (القاهرة ١٩٣٢م)

سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م)

السيرافي:- أخبار النحويين البصريين، تحقيق: محمد إبراهيم البنا (دار الاعتصام-القاهرة، ١٩٨٥م)

سيف الدين الآمدي: -غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، ١٩٧١م)

السيوطى (جلال الدين) :-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين (مكتبة دار التراث- القاهرة، د. ت، ط٣)
-الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد محمد قاسم (القاهرة، د.ت)

شكرى عياد:-اللغة والإبداع (انترناشونال برس-مدينة الصحفيين، ١٩٨٨م)

عبد الحميد الشلقانى:- رواية اللغة (دار المعارف-مصر، ١٩٧١م)
عبد العزيز حمودة: -المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية (عالم المعرفة-الكويت-جمادى الأولى ١٤٢٢هـ-أغسطس ٢٠٠١م)
عبد القاهر الجرجانى: -دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر (الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة،)
عبد الله حامد حمد: -فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية (مجلة عالم الفكر-المجلد الثامن والعشرون-العدد الثالث- (يناير/مارس، ٢٠٠٠م)
عبده الراجحى: - النحو العربي والدرس الحديث (دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ، د.ت ط٢)

ابن فارس:- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر (عيسى الحلبى-القاهرة، ١٩٧٧م)

فاضل السامرائى:- أبو البركات الأنبارى-ودراساته النحوية (دار الرسالة- بغداد ، ١٩٧٥م)
فايز ترحينى: -العربية والمعجمات (مجلة الباحث-العدد الثاني-السنة العاشرة (نيسان/حزيران)، ١٩٨٨م)
القاضي عبد الجبار: -المغنى في أبواب التوحيد والعدل. ضبط نصه إبراهيم الإبيارى بإشراف طه حسين (القاهرة، ١٩٦١م)

القرطبي:- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ١١.

القفطى:- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م)

مازن الوعر:-الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها فى الدراسات الأسلوبية (عالم الفكر-الكويت-المجلد الثانى والعشرون-العدد الثالث والرابع، ١٩٩٤م).

محمد حسين آل ياسين:- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث. ابن ابن مضاء القرطبي:- الرد على النحاة، تحقيق:شوقي ضيف(دار المعارف – مصر ،١٩٨٢م ط٢) .

ابن منظور:- لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خياط (دار لسان العرب-بيروت، د.ت)

ياقوت الحموى:- معجم الأدباء (دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩١م)

ثانياً:المراجع المترجمة

جودث جرين: -علم اللغة النفسي (تشومسكى وعلم النفس)، ترجمة مصطفى التونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، ١٩٩٣م)

جوناثان كلر: -فرديناند دى سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل (المكتبة الأكاديمية-القاهرة، ٢٠٠٠م)

ديفيد كريستل: -التعريف بعلم اللغة، ترجمة: حلمى خليل (الإسكندرية، ١٩٩٣م)

فرديناند دى سوسير: -فصول في علم اللغة العام، ترجمة: د. أحمد نعيم الكراعين (دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، ١٩٨٥م)

ثالثاً:المراجع الأجنبية

Chomsky,N.: Aspects of the theory of Syntax
(MIT press Cambridge 1965)

Chomsky, N.:- Language and Mind
(New York and London- Harcourt Brace, 1968)

Chomsky, N.:- Syntactic Structure
(Mouton, the Hague- 1957)

Chomsky, N.:-The Formal Nature of Language
Appendix to E.H.Lenneberg In
Biological Foundations of Language.
(u.s.A 1967)
Foder, J.:- The Modularity of Mind
MIT Press, 1983)
Hymes, D.:- on Communicative Competence.
(Penguin Books-1971)
Koestler, A.:- Act of Creation
(London-Pan Books, 1966)
Piaget, j.:- Development and Learning
(Cornell University Press 1964)
Piaget, J.:- The Language and thought of the child
(N, y: Harcourt Brace. 1926)
Sapir, E.:- Language- An Introduction to the syudy of Speech
(Harcourt Brace & warld Inc-New York, 1921)